الفصل الرابع

المأمول من الأزهر

- تحسين صورة الإسلام ونشر منهج الوسطية .
- انتخاب شيخ الأزهر .
- إعادة الهيبة لمنصب شيخ الأزهر.
- دور الأزهر في العولمة والإعلام.
- تجديد الخطاب الدينى.
- إعادة النظر في المناهج الدراسية الأزهرية والعمل على ربطها بكتب التراث.
- جمع المؤسسات الدينية فى مؤسسة واحدة تحت قيادة الأزهر.

obeikandl.com

obeikandl.com

مما لا شك فيه أن مكانة الأزهر وقيمته مستمدة من دوره التاريخى فى نشر الدعوة الاسلامية ذات الوجه السمح والمتسامح والفكر الوسطى المعتدل؛ يتضح هذا في دور الأزهر الشريف جامع وجامعة فى محيطه العربى والإسلامى والأفريقى خلال السنوات الماضية وإشعاعه العلمى والثقافى والذى يعد جزءً أصيلا وفاعلا فى دور مصر وقوتها فى دول العالم الثالث والممتد من جنوب شرق آسيا حتى قارة أفريقيا.

ومنصب شيخ الأزهر منصب له مهابة وقدسية مستمدة من روح الدين الإسلامي؛ ومن ثم كان الأزهر – جامعا وجامعة - المرجع لكل المسلمين فى أوقات الشدة والأزمات وخاصة لكل طوائف الشعب المصرىٍ وكانت له وقفات نضال مجيدة ضد كل أشكال الظلم والعدوان والاحتلال بيناها على مدار البحث.

ولا ينكر أحد أن هناك مرحلة تراجع فيها الدور الحضارى والريادي للأزهر الشريف فى مواجهه آراء أخرى تبنتها بعض الجماعات أفرزت وجها عنيفا ورجعيا للدين الحنيف نتج عنه جماعات لاترى سوى الدم والسلاح سبيلا للدعوة والتغييرٍ ولم يدرسوا من الإسلام سوى باب الجهاد الذي لم يحسنوا فهمه ولا توظيفه فيما ينبغي أن يكون له.

هناك تحديات عديدة ومهام صعبة أمام فضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب للعودة بالأزهر من جديد إلى مكانته المأمولة ودوره المعهود في تحسين صورة الإسلام فى العالم القائمة على منهج الاعتدال والوسطية فى الإسلام، والتأصيل للفتاوى بالأدلة والبراهين ، وجعله قبلة حقيقية لطلاب العلم والثقافة الاسلامية الوسطية من كافة أنحاء العالم ، ونحن نرى الشيخ الطيب أهلا لذلك فهو من مدرسة الإصلاح والتجديد وسيجرى الله على يديه الكثير والكثير مما ينفع المسلمين كما سبق منذ أن تولى المنصب حتى يوم الناس هذا.

وبالنسبة لانتخاب شيخ الأزهر فليت الشيخ يعمل جاهدا على تحقيقه والوصول به إلى مرتبة الواقع، والقانون الحالي قانون رقم 103 لسنة 1961 يجعل اختيار شيخ الأزهر من بين أعضاء مجمع البحوث باقتراح منهم وإذا لم يختاروا واحدا من هؤلاء أو إذا لم يعين الرئيس واحدا من هؤلاء فالقانون يشترط –وهذا استثناء– أن يكون المعين مستوفيا لشروط عضوية مجمع البحوث ولما كانت شروط عضوية مجمع البحوث لا يمكن أن يقال إنها محددة فى أشخاص بعينهم فالاختيار يتم من العلماء على وجه عام.

وكل ما نتمناه أن يعود الأمر إلى مجمع البحوث؛ فيرشح المجمع اسم من يراه مناسبا للمشيخة ويصدر قرار جمهوري بتعيين الرئيس لمن يتولى المنصب ، وهذا أسوة بما يجري في مؤسسات دينية أخرى داخل مصر يترك لها حق اختيار شخص واحد وإذا اختارته أصدر الرئيس قرارا جمهوريا بتعيينه، الأزهر ليس أقل من هذه المؤسسات ومجمع البحوث ليس أقل درجة من مجامعها.

وإذا تم انتخاب شيخ الأزهر بطريقة أعضاء مجمع البحوث فسيكون ذلك أفضلَ بكثيرٍ من أن يؤتَى بمن يريده الرئيس أو تريده الحكومة المصرية من أي مكان كان ويصبح شيخًا للأزهراً وبالمشيخة يصبح رئيسًا لمجمع البحوثاً ويصبح الإمامَ الأكبر كما يسميه القانون، ومن ثم يمكن الجزم بأن الانتخاب - بكل صوره وأشكاله – أفضل.

أما التعيين يجعل المعين أقرب ما يكون إلى تحقيق أغراض وأهداف وآمال ومصالح من عينه؛ وأن المنتخب أو الذي رشحه إخوانه يكون أقل امتثالا وأقل رغبة في تحقيق مصالح الذين عينوه؛ لأنه مدين للذين رشحوه، ومن ثم فالانتخاب أولاً ثم إذا لم تكن الانتخابات فالترشيح طبقا لنص المادة القائمة الآن في القانون 103 سنة 1961اً أما التعيين بالطريقة التي تم بها في العقود الأخيرة فإنه لم يكن مجلبة لمصلحة –كما يدعون - بل كان مجلبة لمصالح شخصية وسياسية تهدف إلى تحجيم صوت الأزهر حتى لا يكون في يوم من الأيام قوة في مواجهة الفساد الداخلي كما كان الحال في الماضي؛ فقد كان الأزهر قوة في مواجهة الباطل في الداخل والخارج ، وقد عرضنا العديد من النماذج التى كانت تهدد ولا تتهدد ، تخوف ولا تخاف ، ومنهم العلامة المراغى ، والعلامة محمد الخضر حسين ، والدكتور عبدالحليم محمود وغيرهم.

إن من أصعب التحديات التي يواجهها شيخ الأزهر أولئك الذين يروجون فى المنتديات السياسية العالمية والصحافة للتخويف من الأزهر والنتيجة المباشرة خوفا من الإسلام ومن كل ما هو إسلامي؛ ومن ثم كان من أهم ما يناط بعنق فضيلة الإمام أن يكشف الوجه الحضاري للاسلام والفهم المستنير لتعاليمهاً ويقوم بالتعريف بالاسلام الصحيح وبيان سماحته وتصحيح صورته في مجتمع الغرباً وتفنيد ما تتضمنه وسائل الإعلام الغربية من اتهامات باطلة سواء للاسلام أو المسلمين، مثل اتهام الاسلام بالارهاب والعنف والتمييز العنصري وغير ذلك من تهم باطلة تحتاج لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

التحدى الآخر هو إعادة الهيبة لمنصب شيخ الأزهر والنأى به عن الدخول فى معارك صغيرة وفتاوى مثيرة للجدل؛ تفرق ولاتجمع وجعله المنصب المرجعية فهذا المنصب تشرف به شيوخ عظام من أمثال العطار ومصطفى عبد الرازق وشلتوت وعبد الحليم محمود وجاد الحق فضيلة شيخ الأزهر ، لايشغل وظيفة مدنية بحال، بل هو يسموا إلى مكانة دينية رفيعة المستوى والقدر والشأن.

أما عن دور الأزهر في العولمة والإعلام، فلقد لزم تقويته فى ظل زخم من القنوات الدينية التي تعمل وفق رؤية معينة تختلف أو تتفق مع الإسلام؛ هذا أمر لا يعنيهم إنما الذي يعنيهم المادة والشهرة ، في حين أن الأزهر له رسالة سامية يسعى لتبليغها للعالمينَ مهمته الدفاع عن الأمة الإِسلامية ودينها بحيث تقوم بنقل هذه الرسالة وحقيقة الدين الإسلامي؛ ومن ثم وجب أن يكون للأزهر قناة فضائية فاعلة يتحدث فيها الكافة بحيث تحدث قدرا من الوسطية المعتدلة التى نادى بها الدين الإسلامي.

أما مسألة تجديد الخطاب الدينى فهى قضية حيوية ومصيرية تواجه الشيخ الطيب لإنقاذ الأمة من دعاة المقاهى والفضائيات ، وقضية التجديد بصفةٍ عامة هى مطلبٍ ضرورى وحيوي ويتفق مع روح الدين، لا سيما وأن أمر التجديد ضارب بجذوره إلى أيام النبوة الأولى فقد أخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ؛ وكذا قول النبى : " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " . أخرجه البيهقى .

وبشأن التعليم ومناهجه بالأزهر فلابد من إعادة النظر في المناهج الدراسية الأزهرية؛ لتعود الدراسة كما كانت إلى كتب التراث الأصيل، فهي التي تربي الملكة الفطرية عند الطلاب الدارسين بالبحث والتنقيب ومعرفة المدارس الإسلامية المختلفةً وكيفية اجتهاد العلماء وذلك بدلا من الملازم التي أصابت طلاب العلم بالعقم.

ومن أكثر المشاكل تعقدًا- في عصرنا الحاضر- أن ترى للدين الإسلامي – داخل الدولة الواحدة – مؤسسات متعددة؛ بأدوار مختلفة؛ بانتماءات متباينة؛ جميعها قد يتفق أو يختلف إلا أنه من المفترض أن تكون لدينا جبهة واحدة، بدلاً من تعدد تلك المؤسسات المتمثلة في: (مشيخة الأزهر، ووزارة الأوقاف، ودار الإفتاء، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومجمع البحوث الإسلامية، وجامعة الأزهرً وقطاع المعاهد الأزهرية) يجب أن تتحد كل هذه المؤسسات وتصبح مؤسسة واحدة

فقط، يجب ألا يكون مفتى الجمهورية تابعًا لوزارة العدل، بل يجب أن يكون تابعًا للأزهر الشريف؛ على أن يرأس كل تلك المؤسسات شيخ الأزهر؛- وهو في الحقيقة يرأس بعضها- وهذا الأمر ليس بعيدا عن الواقع الإسلامي؛ إذ إن المتأمل في مقاصد هذا الدين لا يرى مسوغا لهذا الذي يحدثاً بل على العكس فإن نصوص القرآن والسنة تحذر من هذا التفرق والتشتت والتشرزم وضرب الدين بعضه ببعض في هيئة مؤسسات وهيئات ومجالس؛ فكل هذه المؤسسات تعمل باسم الدين الذي دعاهم إلى وحدة الكلمة ووحدة الصف؛ {إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ}.

وأخيرا وليس آخرا ما نأمله للأزهر أن يسترد تراثة فى الصدع بالحق ومواجهة الفساد ، وتحريك الجماهير لما فيه خير المسلمين ، وتحقيق الوحدة الكاملة ، ونبذ الفرقة والعنف ، وكل ما من شأنه أن يضعف من هيبة الدولة المصرية وسائر بلاد العرب والمسلمين أجمعين .... والله نسأله السداد والتوفيق لنا ولسائر المسلمين .

الخاتمة

وصفوة القول فقد تمخضت الدراسة عن عدة نتائج منها :

أولا : الوقوف على معانى المصطلحات أمرا مهما فى معالجة أى دراسة لإزالة ضبابيتها وإشكالياتها ، لا سيما إذا كانت مصطلحات حادثة كالتعايش السلمى .

ثانيا : أن السياسة تدخلت لتعصف بنشاط الأزهر الجامعي زهاء ثمان وتسعين سنة حيث اعتمد صلاح الدين الأيوبي سياسة الموت البطئ لجامعة الأزهر ومذهبها الشيعى . كي ينسي الناس المذهب الفاطمي المخالف للمذهب الشافعي مذهب صلاح الدين والذى سعى إلى تعميمه فى دولته ، وعندما آل الحكم إلى المماليك عاد الأزهر إلى دوره العلمى وعرف بالعصر الذهبى لظهور العديد من العلماء الموسوعيين فى شتى التخصصات كابن حجر والمقريزى والسخاوى والسيوطى والعينى وابن خلدون.

ثالثا : أدت الدراسة الجامعية بالأزهر إبان الحكم العثماني إلي الحفاظ علي عروبة مصر، والحفاظ علي النمط السلوكي المصري في الوقت الذي كانت السيادة علي مصر للوالي العثماني الذي لا يعرف العربية ويتحدث التركية.

رابعا : لعب الأزهر دورا مهما فى الدفاع عن الدين من خلال مواجهة أى اعتداء أو عدوان على مصر وديار الإسلام ، والحفاظ على هوية مصر الإسلامية فى دساتيرها ، ومساندة الأقليات الإسلامية فى العالم الخارجى، والوقوف ضد المد الشيعى ، وتبيين حقيقة الفرق والنحل الضالة كالقاديانية والبهائية ، وتبيين وجه الحق بشأن الكثير من المسائل حتى وإن كانت معرضة لتوجه بعض الحكام .

خامسا : نجح الجامع الأزهر فى الحفاظ على قيمة العلم وتأصيلها من خلال الجم الغفير الذى تخرج منه فمنهم من حمل لقب العالم الموسوعى ، ومنهم من تولى قيادة الأزهر من خلال منصب شيخ الأزهر كالشيخ حسن العطار ، والمراغى ، ومصطفى عبدالرازق ، ومحمود شلتوت ، وعبدالحليم محمود فأفادوا بإصلاحهم للأزهر ، وبمصنفاتهم العديدة ، ومنهم من تولى منصب الإفتاء كالأستاذ الإمام محمد عبده ، والعلامة محمد بخيت المطيعى ، والشيخ حسنين مخلوف ، ومنهم من تولى الحكم فى بلده بعد عودته إليها كمحمد صديق خان حاكم بهوبال فى القرن التاسع عشر ، وهوارى بومدين رئيس الجزائر الأسبق ، ومنهم من صار زعيما سياسيا يشار إليه بالبنان كأحمد عرابى ، وسعد زغلول.

سادسا : لم تقتصر الدراسة بالأزهر على علوم الشريعة فحسب بل عرف تدريس العلوم الطبيعية منذ نشأته فقد كان علماؤه شغوفين بدراسة الطب أيما شغف، وكانت وسائل البحث ميسرة لهم، حيث ضمت مكتبة القاهرة في عهد الفاطميين ستة آلاف كتاب في الطب.

سابعا : لعب الأزهر دورا مهما فى ترسيخ القيم العليا والحضارية من خلال مواجهة الاعتداءات الآثمة على مصر والشعب المصرى ، ومواجهة الظلم والجور ومن ذلك وقوف الإمام عبدالله الشرقاوى شيخ الأزهر أمام مراد بك وإبراهيم بك ، حينما فرضا على الشعب المصري ضرائبا ومكوساً باهظة في ذلك الوقت مما اضطر مراد بك وإبراهيم بك إلى التراجع والخضوع لرغبة الشعب ، ومنها الوقوف فى وجه خورشيد وفرق الدلاة التى عاثت فى الأرض فسادا ، ومنها مساندة الثورة العرابية ضد ظلم وخيانة الخديو توفيق، وكان الشيخ محمد عبده هو من يحلف الثوار يمين القسم ، وما موقف الأزهر الشريف من ثورة 25 يناير 2011م منا ببعيد ، وكذا موقفه من ثورة 30 يونيه 2013م للدفاع عن حقوق ومطالب الشعب المصرى.

ثامنا : نجحت الأروقة فى تحقيق التعايش السلمى توطيد العلاقات الدينية والثقافية والتربوية بين مصر ودول العالم، حيث كان أبناء الدول الإسلامية يفدون إليه من كل صوب وحدب ، وكان لكل بلد أو إقليم رواق في الأزهر يسمى باسمهم ، قبل إنشاء مدينة البعوث الإسلامية بالأزهر ، وكان الرواق مكانا للإعاشة الكاملة من طعام وشراب وكسوة وسكن ومرتب شهري ، كل ذلك على نفقة الأزهر الشريف.

تاسعا : قدم الأزهر عبر تاريخه العديد من نماذج التعايش السلمى من خلال موقف بعض علمائه من الحملة الفرنسية وموافقتهم للمشاركة فى الديوان الذى اسسه نابليون لتسيير الأمور ورفع الحرج والمشقة عن الناس إلى أن انكشفت الغمة وخرج الاحتلال من مصر ، كما أن كلا من شيخ الأزهر حسن العطار وتلميذه الطهطاوى مثلا نموذجان للتعايش السلمى ، كما أن ثورة 1919م بقيادة الأزهرى سعد زغلول وبدعم شيوخ وطلبة الأزهر مثلت نموذجا للتعايش السلمى ، كما مثلت البعثات الأزهرية للخارج نموذجا للتعايش السلمى والتى كان الأزهر حريصا عليها ولا يزال . كما أن حوار الأديان الذى تبناه الأزهر رغم ما يشوبه من أزمات وخلافات يمثل نموذجا حيا للتعايش السلمى . بل إن بيت العائلة المصرى الذى دعا لتأسيسه العلامة أحمد الطيب شيخ الأزهر مثل نموذجا للتعايش السلمى بين المسلمين والنصارى بمصر.

عاشرا : هناك تحديات عديدة ومهام صعبة أمام فضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب للعودة بالأزهر من جديد إلى مكانته المأمولة ودوره المعهود في تحسين صورة الإسلام فى العالم القائمة على منهج الاعتدال والوسطية فى الإسلام، والتأصيل للفتاوى بالأدلة والبراهين ، وجعله قبلة حقيقية لطلاب العلم والثقافة الاسلامية الوسطية من كافة أنحاء العالم ، ومواجهة كل ما يطرح من أزمات بصرامة وحسم.

obeikandl.com

obeikandl.com